المسألة اليهودية تخترق المجلات

"لابـد وأن نفرض على حكومات الأغيار أن تتبنى الإجراءات التى من شأنها أن تروج لخطتنا والتى تكاد تقترب من هدفها الناجح، وذلك من خلال ضغط الرأى العـام والذى هو فى الحقيقة من تنظيمنا، وبمساعدة ما يسمى بـ "القوة العظمى" للصحافة. وباستثناءات قليلة لا يجب الالتفات إليها فقد وقعت فى أيدينا بالفعل".

(البروتوكول السابع).

* * *

فى ذات مرة ذهب أحد أعضاء هيئة التدريس بإحدى الجامعات الأمريكية إلى روسيا فى زيارة عمل، وقد كان خبيرًا فى أحد الأقسام الهامة للعلوم التطبيقية، كما كان ملاحظًا مهتمًا، وقد ذهب إلى روسيا بالإحساس الأمريكى العادى حول معاملة الحكـومة الروسـية للشـعب الـيهودى، واستقر هناك لمدة ثلاثة أعوام وعاد إلى الـولايات المتحدة لمدة عام، ثم ذهب مرة أخرى لروسيا لنفس المدة، وعند العودة الثانية للولايات المتحدة شعر بأنه حان الوقت لتقديم معلومات صحيحة للرأى العام الأمريكـى فيما يتعلق بالمسألة اليهودية فى روسيا. وقام بإعداد مقال مكتوب بدقة شـديدة وأرسـله إلى المحرر بإحدى المجلات الكبرى بالشرق الأمريكى. وأرسل المحـرر إليه يستدعيه وقضى معه تقريبًا يومين، واندهش المحرر لكم المعلومات التـى ينطوى عليها المقال، غير أنه اعتذر عن عدم إمكانية نشر المقال، وقد كانت تلك نفس ردة الفعل التى تلقاها من عدد آخر من محررى المجلات الكبرى.

ولـم يكـن هـذا الـرفض بسبب أن الأستاذ الجامعى لا يكتب جيدًا، فهؤلاء المحررون أنفسهم كانوا ليشتروا أى شىء يكتبه حول أى موضوعات أخرى، ولكن كـان الأمر مستحيلاً بالنسبة له أن يجعلهم يوافقون أو ينشرون مقاله عن اليهود فى صحافة نيويورك.

المسألة اليهودية إذن تمكنت من اختراق صناعة المجلات، ولكن يمكن اعتبار هـذا الاختراق بمثابة جزء صغير(شظية) من الهيكل الذى يقذفه المعسكر اليهودى

للتستر على المسألة اليهودية والقضاء عليها برمتها، ومن ثمَّ يكون بإمكانهم التأكيد على أنه لا يوجد شيء اسمه المسألة اليهودية.

وللمصادفة فإن هذا المقال يكاد يكون الوحيد من نوعه الذى تناول المسألة اليهودية، وكان يمكن أن يثير اهتمام المجلات الكبرى لنشره، ورغم ذلك تظل حقيقة أن الرأى العام قد يعلم الكثير عن المسألة اليهودية، حتى من تلك المقالات التى تسعى لإثبات أن المسألة اليهودية غير موجودة. وقد قام المحرر ويليام هارد فى مجلة المتروبوليتان بما هو متوقع حينما أراد استخدام المادة العلمية الموجودة بحوزته. ومما لاشك فيه أن " ألوية الخطابات والتلغرافات" التى ترصد كل ما يكتب عن اليهود، قاموا بتهنئة المحررين الجيدين لمجلة المتروبوليتان لمساعدتهم فى تنويم الرأى العام.

ونأمل أن تحظى جهود السيد هارد بالمزيد من القراءة – وذلك لصالح المسألة اليهودية– لأنه يوجد الكثير الذى يجب تعلمه من هذا المقال، ربما أكبر بكثير مما كان ينويه أي شخص، وربما ما يجب أن نعلمه أولا هو أن المسألة اليهودية موجودة، ويقول السيد هارد إنه يتم النقاش بشأنها فى " صالات التحرير" فى لندن وپاريس، ولكن الأمر غير الواضح فى مقولة السيد هارد هو إذا ما كان تعبير "صالات التحرير" الذى استخدمه هو مصطلح صكه الكاتب للإيعاز– فى حميمية– بأن الموضوع غير ذى أهمية، أو ربما أن المصطلح يمثل الحد الذى بلغه اتصال السيد هارد بالمسألة اليهودية. وهو يذكر إحدى الوثائق ذات الصلة بالمسألة اليهودية والتى– على حد وصفه – " قد تنقلت بين الدوائر الرسمية فى واشنطن"، ويذكر هارد أيضًا برقية أرسلت إلى جريدة نيويورك ورلد، وتتعلق بنفس الموضوع الذى نشرته الجريدة. وربما لم يلحظ هارد المقال الذى نشر بجريدة لندن تايمز وعرض للوثيقة الأولى التى أشار إليها، وقد يعود ذلك إلى كون مقال هارد ربما نشر قبلها. فى مقاله أخبر هارد القارئ – الذى يبحث عن الحقائق الموضوعية– بأن هناك بالفعل مسألة يهودية، وأنها ليست موجودة بين الرعاع، ولكنها موجودة بالأساس فى تلك الدوائر التى بها نفوذ وسيطرة لليهود، بالإضافة لذلك فإن السيد هارد يخبرنا بأن المسألة تخضع بالفعل للنقاش، وإذا لم يذهب إلى أبعد من ذلك؛ ليقول لنا إنه يتم تدارسها بجدية شديدة فى الدوائر العليا وبين رجال ذوى أهمية محلية وعالمية، فربما يعود ذلك لسببين، أولاهما: أنه لا يعرف، وثانيهما: أنه لا يعتبر ذلك موائمًا مع هدف المقال.

ولكن السيد هارد قد أوضح فعلاً بأن هناك مسألة يهودية، وأنها تخضع للنقاش وأن هـذا النقاش يتم بواسطة أناس هم أقدر من يقيمون ويلحظون الموضوع الذى يتحدثون عنه.

إن قـراءة مقال السيد هارد تجعل من الواضح أن المسألة اليهودية دائما ما تأتـى إلى المقدمة حينما تذكر نظرية المؤامرة، ويقول هارد إنه بالتأكيد لا يؤمن بفكـرة المؤامـرة التى ينخدع بها أعداد كبيرة من الناس، وهذا الاعتراف بعدم التصـديق بفكـر المؤامرة استقبل بارتياح شديد من قبل قطاعات كبيرة من غير اليهود؛ لأنه ليس هناك شىء أكثر سخفًا بالنسبة لعقل الأغيار من فكرة المؤامرة الجماعية، حيث لا يوجد أمر أكثر استحالة بالنسبة لعقل الأغيار من هذا الأمر. و هـارد- كما سنعتبره - من نسل غير يهودى، وهو يعلم تمام العلم مدى استحالة توحـيد الأغـيار معًا فى رابطة واحدة بأعداد معينة ولفترات زمنية مختلفة حتى لتحقـيق أنبل المؤامرات (الأهداف)؛ لأن الأغيار ليسوا مجبولين على ذلك الأمر، ومؤامـراتهم - أيـا كانت- ستنهار مثل جبل من الرمال، فالأغيار ليس لديهم الأسـاس العرقى أو المصلحى الذى يتمتع به اليهود والذى يدفعهم للوقوف معًا. الأغـيار إذن ليسوا مجبولين على التشكك بوجود مؤامرة، وفى حال غياب الدليل الكامل على وجودها فإنه لن يصل حتى لحافة الاقتناع بوجودها.

وبالتالـى مـن السـهولة بمكان فهم الصعوبة التى يجدها هارد فى تقبل فكرة المؤامـرة، والفكـرة هـنا هى أنه حتى يتمكن من كتابة مقاله على الإطلاق، فهو مضـطر إلى الاعتراف- فى كل خطوة تقريبًا- بأنه كلما نوقشت المسألة اليهودية فـإن فكرة المؤامرة لابد وأن تحتل جزءًا كبيرًا من النقاش، وفى حقيقة الأمر تكاد تكـون هى بالفعل الفكرة الرئيسية التى يدور حولها المقال، كما وأنها تكاد تسيطر تماما على عنوان النقاش" المؤامرة اليهودية الكبرى".

والـبحث عـن الحقائـق الأساسـية فى مقال هارد من شأنه أن يكشف عن معلـومات إضافية تشير إلى وجود وثائق تحوى تفاصيل المؤامرة أو- حتى نسقط هـذه الكلمة الكريهة والتى قد تكون مضللة حتى أننا لم نستخدمها فى هذه السلسلة- سـعى الـنفوذ اليهودى لتحقيق السيطرة الكاملة. هذا إذن كل ما يعلمه القارئ من مقـال هـارد حـول الوثائق، غير أنه يصف واحدة من تلك الوثائق بأنها "غريبة

وفظـيعة" وهنا توجد بالفعل حلقة مفقودة فى القصة، ذلك أن هارد يكتب ليشكك فى صـدق وثيقة ما، ومع ذلك فهو لا يقول نصها، ومعروف أن الوثائق المشكوك فى مصـداقيتها عـادة ما تنزع عن نفسها الثقة أو الاعتبار، ولكن هذه الوثيقة لم يطلع علـيها القـارئ، وغيـر مسموح له بذلك، وما عليه سوى أن يصدق شكوك هارد حـيالها. أمـا الـناقد والباحث الجاد، فسوف يشعر بطبيعة الحال بأن الوثائق محل النـزاع صارت تشكل أساسا أفضل لإصدار حكم عاقل. إذا ما وضعنا هذه المسالة جانبا، فإن مقال هارد قد كشف حقيقة أساسية وهى أن هناك وثائق موجودة .

ويـؤكد هـارد علـى أن المقال يهدف بالدرجة الأولى- كما كتب- إلى تبيان كـيف أن الـيهود لـيس لديهم علاقة كبيرة بما يحدث من السيطرة على مجريات الأمـور، وذلـك بمحاولـة توضـيح من هم اليهود الذين يسيطرون بالفعل على مجمـوعات مخـتارة من شئون الحكم. ويقدم هارد فى مقاله لائحة بالأسماء كلها، وهـو وحده مسئول عن تلك القائمة- كما يخبرنا- ويؤكد بأن الغرض من الإشارة إلى تلك القائمة هو فقط إظهار ما يمكن أن نتعلمه منه.

ويشـير هارد بكثرة إلى الشئون الروسية حتى ليبدو فى بعض الأحيان وكأن المسـألة الـيهودية ينظر إليها باعتبارها المسألة السوفييتية، رغم أنها ليست كذلك، ويعلـم هـارد ذلك الأمر جيدا، ورغم أن كلتا المسألتين مرتبطتين إرتباطًا واضحًا إلا أنـه مـن قبـيل الدعاية الفاضحة أن نؤسس لقصة خيالية بولشفية، ثم نحاول صـرعها بحقـيقة يهودية لتحقيق مصلحة الأخيرة. ولكن يمكن اعتبار أن ما يقدمه هـارد كحقيقة هو بمثابة عمل توجيهى بغض النظر عن النتائج التى استخلصها من هذا المقال.

ولكـن فلندرس بعض الحقائق التى وردت فى المقال، حيث يقول بأنه لا يوجد سـوى يهـودى واحد فى مجلس الوزراء فى روسيا السوفييتية، ولكن هذا اليهودى تروتسـكى، هـناك بالطبع يهود آخرون فى الحكومة ولكن هارد يتحدث فقط عن مجلـس الـوزراء، وهـو لا يشـير إلى القوميسيرات الذين يعتبرون حكام روسيا الحقيقيـين، ولم يتحدث عن القوات التنفيذية التى هى عصب القوة فى نظام لينين- تروتسـكى. هو فقط مهتم بمجلس الوزراء، وبالمثل كان هناك يهودى بارز واحد فـى المجـر أيضًا ولكنه كان بيلا كون وهارد بالطبع لا يطلب منا أن نصدق أن

وجود تروتسكى وكون قد دفع بأوروبا كلها لأن تصدق بأن الأيديولوچية البولشفية لديها عنصر يهودى قوى، ومثلما هو الأمر صعب بالنسبة لهارد أن يستوعب فكرة المؤامرة اليهودية، فمن الصعب عليه تصور مصداقية لغير اليهود! لماذا هو أسهل علينا أن نصدق أن الأغيار جاهلون من أن نصدق أن اليهود ماهرون؟

غير أنه ليس من المبالغة القول بأن تروتسكى موجود أعلى القمة مع لينين كما وأن تروتسكى يهودى، ولم ينكر أحد هذا الأمر ولا حتى السيد برونشتاين نفسه (والأخير اسم لتروتسكى فى الولايات المتحدة).

ولكن يقول السيد هارد إن (المناشفة)(*) يتزعمهم يهودى أيضا ! وهذه حقيقة يجب أن نضعها بجانب الحقائق الأخرى. تروتسكي إذن على رأس البلاشفة، بينما يتزعم المناشفة – حينما كانوا فى صفوف المعارضة– لايبر و مارتوف ودان – "كلهم يهود" كما يوضح مقال هارد.

غير أن هناك حزبًا وسيطًا بين هاتين القوتين المتطرفتين، وهم الكادتز والذين يقول عنهم هارد بأنهم كانوا الحزب السياسى البورجوازى الأقوى فى روسيا، "الآن مقر رئاستهم فى پاريس ورئيسهم هو ڤيناڤر– يهودى كذلك".

وهذه هى الحقائق كما قررها مقال هارد ، ويضيف بأن اليهود الذين يذكر أسماءهم يتزعمون أكبر ثلاث فصائل سياسية فى روسيا، ثم بعد ذلك يصرخ: انظروا كيف أن اليهود منقسمون؟ كيف يمكن أن تكون هناك مؤامرة بين أناس يحارب بعضهم البعض؟

ولكن إذا ما عاين شخص آخر الموضوع، ربما يقول انظروا كيف يسيطر اليهود على كل مرحلة من مراحل الرأى السياسى فى روسيا ؟ أليس هناك مبرر للشعور بأنهم تواقون للسيطرة والحكم فى كل مكان؟

الحقائق إذن متاحة، ولكن ماهو المغزى ــ بالنسبة للشخص العادى ــ الذى تقدمه حقيقة أن أكبر ثلاثة أحزاب فى روسيا يتزعمها يهود ؟ هذا التساؤل بطبيعة الحال لا يقلل من أهمية المعلومات التى قد يجدها القارئ فى مقال هارد.

(*) المناشفة: أعضاء فى جناح الحزب الديموقراطى الاشتراكى الروسى.

ثم يتحول هارد إلى الولايات المتحدة، ويقدم عددًا من التصريحات الهامة.

يقول هارد بأنه "يوجد أوتو كاهان"، حسنا، أحيانا أوتو كاهان موجود هنا، وفى أحيان أخرى موجود فى باريس فى مهام دولية مهمة، وأحيان أخرى هو موجود بلندن يروج لتحالفات معينة بين رأس المال الأمريكى والبريطانى والذى هو على علاقة إلى درجة كبيرة بالأحوال السياسية فى أوروبا، ويصنف السيد كاهان على أنه محافظ، وقد يعنى هذا شيئًا ما، فالشخص قد يكون أو لا يكون محافظًا طبقا للزاوية التى ينظر إليه منها، ذلك أن أكثر الرجال محافظة فى أمريكا هم عادة أكثرهم راديكالية، ودوافعهم وطرقهم عادة ماتتطرق لجذور بعض الموضوعات، فهم راديكاليون حتى فى مجال تخصصهم، **والرجال الذين سيطروا على الاجتماع الأخير للجمهوريين- إذا لم يكن الأخير فالذى عقد مؤخرا- هم يعتبرون من المحافظين من قبل أولئك الذين رؤيتهم محدودة ومحكومة بمصالح اقتصادية محدودة، ولكنهم أكثر الراديكاليين راديكالية**. وإذا ما علمنا ما يدور فى عقل السيد كاهان، إذا كان بإمكانه أن يقدم لنا بيانا بما يفعله ويسعى لفعله، فإن المصطلح الذى يصفه بدقة قد يكون مختلفًا، على أية حال لقد حصلنا عليها من السيد هارد: " السيد كاهان موجود".

"من ناحية أخرى" يضيف السيد هارد "هناك روز پاستور ستوكس" ثم يضيف اسم موريس هيلكويت، هؤلاء – حسب توصيف السيد هارد- هم راديكاليون ، ولكى يوازن هذه الأسماء أضاف اسمين من الأغيار: يوجين فى. ديبس، وبيل هايوود، وقام بالإيعاز بأنهم أكثر نفوذًا من الأسماء الأولى اليهودية التى ذكرها. غير أن دارسى التأثيرات الحديثة – والتى بدا كما لو أن السيد هارد واحد منهم- لا يعتقدون بذات الأمر. فلا ديبس ولا هايوود تمكنا أثناء حياتهما من إحداث جزء من النفوذ الفكرى الذى تمكنت كل من السيدة ستوكس والسيد هيلكويت من إحداثه، فكل من ديبس وهايوود يتعايشان مع الآخرين، ولكل شخص عليم مثل هارد، فإن الأسماء اليهودية التى جاءت فى مقاله، ترد على الذهن حينما تُبحث الميول الاجتماعية فى الولايات المتحدة.

وهذا أمر جد توجيهى بالفعل، ذلك أنه بتسميته أسماء قادة الحركة المحافظة والراديكالية، فإن هارد منساق إلى استخدام الأسماء اليهودية، وحين يكشف هذا

الأمـــر فـــإن من حق القارئ أن يقول بأن اليهود يتزعمون الحركتين فى الولايات المتحدة.

ولكـــن هـــارد لم يفرغ بعد: " فالشخص الذى يفعل أكثر مما يفعله أى شخص آخـــر، والشـــخص الذى يفعل أكثر مما تفعله أية فرقة من الرجال الآخرين لإبقاء العمل الأمريكى غير راديكالى ليس سوى صامويل جومـــپرز، وهو يهودى"، هذه حقيقة سوف يضيفها القارئ إلى القائمة – حركة العمال الأمريكية يتزعمها يهودى.

حسنا إذن" أقوى اتحادات العمال المناوئة لجومـــپرز فى البلاد "عمال الملابس المندمجون" هم أقوياء بالفعل ويتزعمهم يهودى هو سيدنى هيلمان !.

إذن عدنا إلى الوضع فى روسيا مرة أخرى! كلا الطرفين يُسيطر عليه يهود. وهـــى حقـــيقة لا يملك هارد سوى الاعتراف بها بحكم طبيعة مهمته، أما المنظمة الوسيطة "الوسط الليبرالي" كما يصفه هارد فى مقاله، فهو يعمل على اتخاذ موقف وســـط، ويـــرد فـــى مقال هارد أسماء السيد رئيس القضاة برانديس والقضاة ماك وفليكس فرانكفورتر وهم من السادة الذين تصلح أنشطتهم منذ الهدنة الحربية (يشير إلى الحرب العالمية الأولى) لأن تكون قصة مثيرة للاهتمام.

ويـــزيد هارد اسمين إضافيين هما "بارون جونزبرج" – وهو يهودى، ويعد بمـــثابة "مســـئول مخلـــص" للسفارة الروسية وللسفير باخماتيف، وهو أيضا ممثل للـــنظام القديم فى صورته المعدلة، أما مكتب الإعلام الروسى، والذي يظهر إنتاجه الأدبـــى فـــى العديد من جرائدنا، فيديره يهودي آخر، ويطلق عليه هارد السيد أيه. جى. ساكس، وهو اسم مألوف لقارئ الصحف.

هذه ليست بطبيعة الحال القائمة الكاملة، ولكنها مثيرة للدهشة، وهى تلقى كذلك الضـــوء على الوثائق التى يسعى هارد جاهدًا لأن ينزلها فى مرتبة عديمة الأهمية، الأمر الذى يقودنا إلى الاعتقاد بأنه ربما فحصت تلك الوثائق بشكل دقيق؛ لأن من قرأها قد أدرك ليس فقط الحقائق التى أتى هارد على ذكرها فى مقاله، وإنما أمورًا أخـــرى مثيـــرة للدهشـــة، بـــل لـــربما اكتشف أن تلك الوثائق إنما تؤكد وتوضح الملاحظـــات الســـابقة، أما القراء الآخرين الذين لم يتسن لهم الاطلاع على كل ما تحويه هذه الوثائق، فإنهم يكتفون بالاهتمام الذى أثارته هذه الوثائق.

ويجب التأكيد على أن هذه الوثائق لم تخلق المسألة اليهودية، وإذا لم يكن هناك سوى الوثائق فإن هارد لم يكن ليكتب أى شىء على الإطلاق، وما كانت مجلة المتروبوليتان لتنشر هذا المقال الذى نحن بصدده.

ربما أن ما فعله هارد هو التأكيد فى مكان غير متوقع على الإطلاق- أى جريدة المتروبوليتان- على أن المسألة اليهودية موجودة وتلح على النقاش. وقد أدت الكتابة عن "المؤامرة اليهودية الكبرى" بإحساس البعض بضغوط تمارس عليهم(*).

(ديربورن إندبندنت، العدد ٢٦ يونيو ١٩٢٠م)

* * *

(*) ربما فى إشارة للكاتب نفسه الذى كتب عنها بشكل غير مباشر، وربما يشير إلى اليهود الذين أحسوا بالضغوط من جراء كشفهم.

obeikan.com